

## التصدير

يرى بعض العلماء أن الجغرافيا من أصعب العلوم مرآماً وتدریساً إن لم تكن أصعبها جميعاً .

ومصدر صعوبتها ، اعتمادها على علوم كثيرة ، مختلفة . تخصص كل منها في دراسة موضوع خاص ، يفحص عنه فحصاً دقيقاً .

فهى تعتمد على علم الفلك في معرفة شىء ، ولوضئيل ، عن الأجرام السماوية كواكبها وأقمارها ونجومها ، وبخاصة الأرض والشمس والقمر .

وتعتمد على علم الجيولوجيا في معرفة نتائج الأحداث التى انتابت سطح الأرض من التواء وانكسار ، وتشقق ، وتغضن ، وارتفاع ، وانخفاض ، وتآكل وتفتت ، وهدم وبناء ، إلى آخر ما يفحص عنه علم الجيولوجيا .

وتعتمد على علم الطبيعة في دراسة الحرارة ، والهواء وتصريف الرياح ، والأمطار بما ينفع الناس .

وعلى علم النبات في الوقوف على تأثير نبات الأرض بالتربة والمناخ ، وأثره في توزيع الحيوان وحياة الإنسان .

كما تعتمد على علم الحيوان ، وعلم الكيمياء ، وعلم المساحة ، وعلم الاقتصاد ، وعلم التاريخ ، وعلم الاجتماع ، وعلم الأنساب ، وعلم الآثار وعلى علوم عدة أخرى في الإحاطة ببعض ما يفحص عنه كل من هذه العلوم .

ولهذا وصفها بعض العلماء بأنها جماع العلوم كلها ، تأخذ من كل منها بطرف ، وتتوصل به إلى دراسة تأثير بعضها في بعضها الآخر ، وتأثيرها كلها في الإنسان ، وتأثير الإنسان بدوره آخر الأمر فيها كلها .

وفي ذلك تشبيهات كثيرة :

فقد شبهها بعضهم بالنحلة الدءوب التي تجمع رحيق أزهار كثيرة ، مختلفة أنواعها ، فتمثله وتخرجه شراباً حلواً سائفاً ، فيه غذاء للناس ومنتعة .

وشبهها بعضهم بالحائك الماهر ، الذي يأخذ خيوطاً مختلفة ألوانها ، فلا يزال يقارب بين بعضها ويخالف بين بعضها الآخر حتى يصنع منها منسوجاً في بعضه الاختلاف ، وفي بعضه التوافق . وفيه كله الانسجام البديع .

وشبهها بعضهم بالموسيقيار الموهوب يخلق من الأصوات المتنافرة لحناً موسيقياً عذباً متسق الأنغام .

وليست الجغرافيا التي وصفتُ ، وعرفتُ وضربت لها الأمثال ، هي الجغرافيا التي يدرسها التلاميذ في فصولهم ويعرفها جمهرة الناس ، وإنما هي جغرافيا من نوع آخر تقرأها مُيسِّرة مهذبة في هذا الكتيب فتطيل امتاعك ، وتعمر قلبك ، وتبسط لسانك . ولو قرأها القس الفرنسي الذي سنقص عليك قصته لاكتفى بها ، ومحا اسم الحبشة من ثبت أسماء الأقطار التي خاز الله له في زيارتها .  
ومجل قصة القس ما يأتي :

زعموا أن بعض الرحالين عثروا عليه محبوب أنحاء كليفورنيا ، فسألوه عما حداه إلى القدوم إلى هذا البلد النائي ، يضرب في أوعاره ، في سن تقعد بكثير في دورهم لا يبرحونها ! .

فقال لهم ، وهو يحاورهم : إني رأيت فيما يرى النائم أن الأجل وافاني . فدعيت إلى لقاء ربي . فلما مثلت بين يديه ابتدرني بالسؤال عن رأيي في أرضه .

ولما لم أكن أتوقع أن أسأل هذا السؤال ، عييت عن رد جوابه ، وعلتني حمرة الحجل لجهلي بأقطار الأرض لأنني لم أكن قد غادرت مسقط رأسي ، ومقر عملي أبداً ! ولم ألبث أن وجدت نفسي راكماً أطلب رحمة ربي وغفرانه هذا الذنب العظيم .

واستيقظت من نومي غير مصدق أني لا أزال حياً ، ولما تأكدت أن ما رأيته  
لم يكن إلا حلمًا ، آليت على نفسي أننى أقضى بقية عمرى فى السير فى الأرض ،  
والمشى فى مناكبها لمشاهدة معالمها ، واجتلاء محاسنها ، ومعرفة أممها وتبين آمالهم  
وآلامهم ، ودوافعهم وأهدافهم ، فأحكم لهم أو عليهم عن علم . وأصدر إن سئلت  
عنهم ، عن تمييز . المؤلف